خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (13)

الحياء

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (١٣)

الحياء

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

كان رجل من الأنصـــار يعاتب أخًا له، ويلومه على شدة حيائه، ويطلب منه أن يقلل من هذا الحياء، ومرَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فسمعهما، فقال للرجل: (دعه فإن الحياء من الإيمان) [متفق عليه].

***

ما هو الحياء؟

الحياء هو أن تخجل النفس من العيب والخطأ. والحياء جزء من الإيمان. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (الإيمان بضـــع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) [متفق عليه]. بل إن الحياء والإيمان قرناء وأصدقاء لا يفترقان، قال اللَّه صـــلى اللَّه عليه وســـلم: (الحياء والإيمان قُرَنَاء جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر). [الحاكم].

وخلق الحياء لا يمنع المســـلم من أن يقول الحق، أو يطلب العلم، أو يأمر بمعروف، أو ينهي عن منكر. فهذه المواضـــع لا يكون فيها حياء، وإنما على المســـلم أن يفعل كل ذلك بأدب وحكمة، والمسلم يطلب العلم، ولا يســـتحي من الســـؤال عما لا يعرف، وكان الصـــحابة يســـألون الرســـول صلى اللَّه عليه وسلم عن أدق الأمور، فيجيبهم النبي صلى اللَّه عليه وسلم عنها دون خجل أو حياء.

حياء اللَّه –عز وجل–:

من صـــفات اللَّه تعالى أنه حَيِي سـِتِّيرٌ، يحب الحياء والســـتر. قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن اللَّه حَيِي ستير، يحب الحياء والستر) [أبو داود والنسائي].

حياء الرسول صلى اللَّه عليه وسلم:

كان النبي صـــلى اللَّه عليه وسلم أشد الناس حياءً، وكان إذا كره شيئًا عرفه الصحابة في وجهه. وكان إذا بلغه عن أحد من المســـلمين ما يكرهه لم يوجه له الكلام، ولم يقل: ما بال فلان فعل كذا وكذا، بل كان يقول: ما بال أقوام يصنعون كذا، دون أن يذكر اسم أحد حتى لا يفضحه، ولم يكن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا (لا يحدث ضجيجًا) في الأسواق.

أنواع الحياء:

الحياء له أنواع كثيرة، منها:

الحياء من اللَّه: المســـلم يتأدب مع اللَّه –سبحانه– ويستحيي منه؛ فيشكر نعمة اللَّه، ولا ينكر إحسان اللَّه وفضـــله عليه، ويمتلئ قلبه بالخوف والمهابة من اللَّه، وتمتلئ نفســـه بالوقار والتعظيم للَّه، ولا يجاهر بالمعصـــية، ولا يفعل القبائح والرذائل؛ لأنه يعلم أن اللَّه مُطَّلِعٌ عليه يســـمعه ويراه، وقد قال اللَّه –تعالى– عن الذين يفعلون المعاصـــي دون حياء منه سبحانه: {يستخفون من الناس ولا يستخفون من اللَّه} [النساء: ١٠٨].

والمسلم الذي يستحي من ربـــــه إذا فعـــل ذنبًا أو معصية، فإنه يخجل من اللَّه خجلا شديداً، ويعود سريعًا إلى ربه طالبًا منه العفو والغفران. وقد قال النبي صـــلى اللَّه عليه وســـلم: (اســـتحيوا من اللَّه حق الحياء)، فقالوا: يا رســـول اللَّه، إنا نستحي والحمد للَّه، قال: (ليس ذاك، ولكن الاستحياء من اللَّه حق الحياء: أن تحفظ

الرأس وما وَعَى، والبطن وما حَوَى، ولْتذْكر الموت والْبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللَّه حق الحياء) [الترمذي وأحمد].

الحياء من الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: والمسلم يستحي من النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فيلتزم بسنته، ويحافظ على ما جاء به من تعاليم سمحة، ويتمسك بها.

الحياء من الناس: المسلم يستحي من الناس، فلا يُقَصِّر في حق وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفًا صنعوه معه، ولا يخاطبهم بسوء، ولا يكشف عورته أمامهم، فقد قال رجل للرسول صلى اللَّه عليه وسلم: يا رسول اللَّه، عوراتنا ما نأتي منها وما نَذَرُ؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (احفظ عورتكَ إلا من زوجتكَ أو ما ملكت يمينكَ). فقال: يا رسول اللَّه، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ فقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن استطعتَ ألا يَرَيَنَّها أحد فلا يرينَّها)، قال: يا رسول اللَّه، إذا كان أحدنا خاليا (ليس معه أحد)؟ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (فاللَّه أحق أن يُسْتَحيا منه من الناس) [أبو داود].

ومن حياء المسلم أن يغض بصره عن الحرام، وعن كل منظر مؤذٍ، مما يقتضي غض البصر، ومن الحياء أن تلتزم الفتاة المسلمة في ملابسها بالحجاب، فلا تظهر من جسدها ما حرَّم اللَّه، وهي تجعل الحياء عنوانًا لها وسلوكًا يدلُّ على طهرها وعفتها، ودائمًا تقول:

زِينَتِي دَوْمًا حيائي واحْتِشَامِي رَأسُ مَالِي

وحياء المؤمن يجعله لا يعرف الكلام الفاحش، ولا التصرفات البذيئة، ولا الغلظة ولا الجفاء، إذ إن هذه من صفات أهل النار، وقد قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار) [الترمذي والحاكم].

فضل الحياء:

الحياء له منزلة عظيمة عند اللَّه -سبحانه-، فهو يدعو الإنسان إلى فعل الخير، ويصرفه عن الشر، ومن هنا كان الحياء كله خيراً وبركة ونفعًا لصاحبه كما قال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا بخير) [متفق عليه]، وقال: (الحياء كله خير) [مسلم].

فليجعل المسلم الحياء خلقًا لازمًا له على الدوام، حتى يفوز برضا ربه -سبحانه- وقد قال الشاعر:

حياؤك فاحفظه عَلَيْك وإنما

يَدُلُّ على فِعْلِ الكريم حياؤُهُ

وقال آخر:

إذا لم تَخْشَ عاقبة اللَّيالي

ولم تَسْتَحْي فاصنعْ ما تشاءُ

فلا واللَّه ما في الْعَيْشِ خيرٌ

ولا الدنيا إذا ذهـــــب الحيـــــــاءُ